

بالابداع . فالتقافية ليست عالمًا غائماً من الصور المثلية التي لا يستوعبها احد ، وليس المثقف هو الذي يكتب ، بل المثقف هو من يبحث عن عضويته ، داخل الممارسة الجماهيرية التي تصنع التاريخ وكل مجد ثقافي .

يمكن تحليل علاقة محمود بالموت ، من خلال اكثـر قصائده شعبية « الشهيد » (١) . ففي هذه القصيدة اكثـر من مستوى دلالي واحد :

يشير مطلع القصيدة الى المستوى الغالب فيها . فالموت هو مؤشر ارادـي . تتبـع هذه الاـزادية من طبيعة اطـاره — الصراع — فحين يكون هناك صراع وطنـي لم تتبـلـور بعد ملامـحـه بـشـكـلـ كـامـلـ ، تـصـبـعـ اـرادـيـةـ الاـختـيـارـ عـامـلاـ اـسـاسـياـ ، فالـشـهـيدـ يـخـتـارـ الموت .

« سـاحـمـ روـحـيـ عـلـىـ رـاحـتـيـ
غـامـاـ حـيـاةـ تـسـرـ الصـدـيقـ
وـاـمـاـ مـمـاتـ يـغـيـظـ العـدـيـ
وـرـوـدـ النـسـاـيـاـ وـنـيـلـ المـنـيـ»

هـذـاـ هـوـ الدـخـلـ اـسـاسـيـ ، الـاقـبـالـ عـلـىـ الموـتـ ، الموـتـ هـوـ بـهـذـاـ المـعـنـىـ حـدـثـ اـجـتمـاعـيـ — سـيـاسـيـ — جـمـاعـيـ . لـيـسـ فـيـهـ أـيـ اـقـرـابـ منـ مـسـتـوـيـ القـلـقـ الـذـيـ اـصـبـحـ عـنـوانـ شـعـرـ الموـتـ الفـرـديـ . اـنـهـ هـنـاـ مـجـرـدـ فـعـلـ مـكـامـلـ . فالـفـرـدـ فيـ دـاخـلـهـ لـيـسـ حـالـسـاـ . الـحـاسـمـ هـوـ الـمـوـضـوـعـ نـفـسـهـ . الموـتـ ، لـذـكـرـ تـأـتـيـ الـاوـصـافـ الـقـيـ

يـطـلـقـهـ الشـاعـرـ عـلـىـ « نـفـسـ الشـرـيفـ » وـكـائـنـاـ اوـصـافـ لـلـموـتـ وـلـاـ عـلـاقـةـ لـلـشـهـيدـ بـهـاـ ، فالـشـهـيدـ يـأـخـذـ اوـصـافـ الموـتـ حينـ يـمـوتـ . هـنـاـ يـتـأـكـدـ العـنـضـرـ الدـلـالـيـ اـسـاسـيـ فيـ هـذـهـ القـصـيـدـةـ . فالـدـلـالـةـ تـأـتـيـ مـنـ الـفـعـلـ وـلـيـسـ مـنـ عـلـاقـةـ تـضـادـ اوـ تـواـزـ جـامـدـ ، لـكـنـ هـذـاـ المـسـتـوـيـ الـفـالـبـ الـذـيـ يـؤـكـدـ عـلـيـهـ مـطـلـعـ القـصـيـدـةـ ، يـتـحـولـ عـلـىـ وـعـيـ مـأـسـاوـيـ حـادـ . فالـشـاعـرـ حينـ يـرـىـ مـقـتـلـهـ دونـ النـصـ الـذـيـ يـتـعـدـ يـقـومـ بـصـيـاغـةـ صـرـاخـ الـمـأسـاوـيـ فيـ وـجـهـ الـحـيـاةـ ، لـيـأـتـيـ هـذـاـ الـصـرـاخـ مـوـقـفـاـ يـمـتـيـزـ بـمـأـسـاوـيـ فـجـوـاتـ الموـتـ . فـحـينـ لـاـ يـسـتـطـعـ الموـتـ اـنـ يـمـتـيـزـ بـمـدـالـيلـ صـرـاخـ شـعـبـيـ نـضـالـيـ ، يـتـحـولـ هـذـاـ الـصـرـاخـ الـىـ فـعـلـ لـتـدـمـيرـ الذـاتـ ، تـبـلـغـ ذـرـوـتـهـ فـيـ هـذـاـ الـوـصـفـ لـجـسـدـ الشـهـيدـ :

« وجـسـمـ تـجـدـلـ شـفـقـ الـهـضـابـ
فـتـنـهـ نـصـيبـ لـاسـدـ السـلـامـ
وـمـنـهـ نـصـيبـ لـاسـدـ الشـرـىـ
وـعـنـرـ مـنـهـ بـهـيـ الـجـبـيـنـ
وـلـكـنـ عـفـارـاـ زـيـدـ الـبـهـاـ
وـبـيـانـ عـلـىـ شـفـقـيـ اـبـسـامـ
عـانـيـهـ هـزـ بـهـذـيـ الدـنـاـ»

هـذـاـ المؤـشـرـ الثـانـيـ ، الـمـلـيـءـ بـمـأـسـاوـيـ مـوـاجـهـةـ الموـتـ ، لـيـسـ مـؤـشـراـ فـرـديـاـ . فـحـينـ تـصـرـخـ ذـاكـرـةـ عبدـ الرـحـيمـ مـحـمـودـ « فـيـعـلـمـ قـوـمـيـ أـنـيـ الـفتـيـ » تـلـقـيـ بـظـالـلـاهـ كـامـلـةـ عـلـىـ دـلـالـاتـ القـصـيـدـةـ تـشـيرـ إـلـىـ مـسـتـوـيـ ثـالـثـ هـوـ مـسـتـوـيـ دورـ الـذاـكـرـةـ الـثـقـافـيـةـ — الشـعـرـيـةـ فيـ طـبـعـ هـذـاـ الشـعـرـ . لـكـنـاـ هـنـاـ لـاـ نـزـالـ اـمـمـ حـسـ مـأـسـاوـيـ تـبـلـوـرـ فيـ دـاخـلـهـ اـرـادـةـ جـمـاعـيـةـ يـسـتـطـعـ الشـعـرـ اـسـتـشـرـافـ مـضـامـينـهـ بـوـصـفـهـ صـدـاـهـ الـإـسـلـامـيـ . فالـجـسـدـ الـذـيـ تـرـسـمـهـ القـصـيـدـةـ ، هـوـ جـسـدـ جـمـاعـيـ ، يـأـخـذـ ظـابـعـهـ الـفـرـديـ لـضـرـورـاتـ مـتـعـدـدةـ : دورـ الشـاعـرـ وـالـمـدـىـ الـذـيـ يـسـتـطـعـ فـيـ التـأـثـيرـ بـشـكـلـ حـاسـمـ . وـهـوـ كـذـكـ يـرـفـعـ مـسـتـوـيـ الـصـرـاعـ إـلـىـ الدـلـالـةـ الـمـأـسـاوـيـ الـذـيـ عـرـفـهـاـ الـفـلـسـطـيـنـيـ فيـ سـلـسلـةـ طـوـيـلـةـ مـنـ تـرـاـكـمـ موـتـ بـدـاـ مـجـانـيـاـ ، لـكـنـهـ فـيـ تـرـاـكـمـهـ يـؤـسـسـ خـطاـ جـدـيدـاـ فـيـ مـمارـسـةـ بـدـاـيـاتـ نـهـضـةـ حـقـيقـيـةـ .

هـذـهـ الـمـسـتـوـيـاتـ الـثـلـاثـةـ فـيـ الموـتـ عـنـدـ عبدـ الرـحـيمـ مـحـمـودـ تـؤـكـدـ دـلـالـةـ مـركـزـيـةـ ، حـولـهاـ يـجـريـ تـحـلـيـلـ الـدـلـالـاتـ الـآخـرـىـ . فـنـحنـ أـمـمـ مـوـاجـهـةـ لـلـموـتـ مـنـ طـبـيـعـةـ جـمـاعـيـةـ ، لـذـكـ